obeikandl.com

# الجلـود الذاكـرة

الحمد لله رب العالمين، إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونؤمن به ونتوكل عليه.

اللهم لك الحمد كله، ومنك العون كله، ومنك الفضل كله، ومنك الرضا كله، ومنك الثبات كله، ومنك الرحمة كلها، وإليك يرجع الأمر كله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ....[النور:٢١].

الله يزكي من يشاء، والله يصطفي من يشاء، والله يطهر من يشاء، والله يتوب على من يشاء، والله يهدي من يشاء.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.... [يونس:٩٩]. فهذه مشيئته، وهذا حكمه، وهذا علمه، وهذا تدبيره، وما تشاءون إلا أن يشاء الله، فلَكَ أن تختار ما تشاء، ولك أن تتمنى ما تشاء، ولك أن تحب ما تشاء، ولك أن تشتهي ما تشاء، ولكن كل شيء في هذه الحياة لا يتقدم ولا يتأخر ولا يرتفع ولا ينخفض إلا بعلمه، ولا تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه.

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ...[القصص: ٦٨]. فما كان لك أن تختار والله تعالى هو السيد، وما كان لك أن

تختار والله تعالى هو الصمد، فيَمرَضُ ولدُك فلله الحمد، وتَمرَضُ أنت فلله الحمد، تمرض الزوجة فلله الحمد، ويموت الأب، وتموت الزوجة، ويموت الأولاد، وتموت الجدة، ويموت الأخ، ويموت الصديق، ويموت الزميل... فليس لك أن تختار شيئًا، وليس لك أن تتمنى شيئًا؛ فإن الله تعالى رحيم بعباده، والله تعالى رءوف بعباده، والله تعالى حنان بعباده، والله تعالى منان على عباده، والله تعالى لطيف بعباده، والله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز.

سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر عمره المجيد المليء طاعة ونورًا وهداية وصل إلى هذه الحقيقة التي تحدثنا عنها الآن، وصل إلى حقيقة عظمى أن الله تعالى كان له عَوْنًا، وكان له سندًا؛ فكانت نجاته في هذا، ولعلك تقرأ سورة يوسف وتستشعر أنك محتاج إلى الله، فالشباب محتاجون إلى الله، والرجال محتاجون إلى الله، والصبية والنساء وجميع الناس على اختلاف مراحلهم واختلاف أعمارهم محتاجون إلى الله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾....[يوسف:٣٣].

قال يوسف مستعيذًا مِن شرهن ومكرهن: يا ربِّ السجنُ أحب إليَّ مما يدعونني إليه من عمل الفاحشة، وإن لم تدفع عني مكرهن أَمِلْ إليهن، وأكن من السفهاء الذين يرتكبون الإثم لجهلهم.

وإلاَّ تصرف عني كيدهن، يعني: لو أنا وحدي سأضل، فالدنيا ستفترسني، والأوهام تغتالني، والأماني تقتلني، فما الذي يحجبني عن كل هذه المكائد؟ سيدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وصل إلى قاعدة الإحسان، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ

أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ....[يوسف: ١٠٠].

وقد أحسن بي، أي: سجن يوسف عليه السلام كان إحسانًا من الله، و إخراجه من السجن كان إحسانًا، فكل هذا إحسان، حتى البلاء الذي هو مكابدة، والذي هو مشقة، والذي فيه تعب، والذي فيه عنت هو رحمة من الله لك، فقال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ....[يوسف: ١٠٠].

وأجْلَسَ أباه وأمه على سرير ملكه بجانبه؛ إكرامًا لهما، وحيَّاه أبواه و إخوته الأحد عشر بالسجود له تحية وتكريمًا، لا عبادة وخضوعًا، وكان ذلك جائزًا في شريعتهم، وقد حُرم في شريعتنا؛ سدًّا لذريعة الشرك بالله، وقال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: هذا السجود هو تفسير رؤياي التي قصصتها عليك من قبل في صغري، قد جعلها ربي صدقًا، وقد تفضَّل عليَّ حين أخرجني من السجن، وجاء بكم إليَّ من البادية، من بعد أن أفسد الشيطان رابطة الأخوة بيني وبين إخوتي؛ إن ربي لطيف التدبير لما يشاء، إنه هو العليم بمصالح عباده، الحكيم في أقواله وأفعاله كذلك.

وقال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ....[يوسف:١٠١].

ثم دعا يوسف ربه قائلاً: ربِّ قد أعطيتني من مُلكِ مصرَ، وعلَّمتني من تفسير الرؤى، وغير ذلك من العلم، يا خالق السماوات والأرض ومبدعهما، أنت متولي جميع شأني في الدنيا والآخرة، توفني إليك مسلمًا، وألحقني بعبادك الصالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين ومع الصالحين، وفي معية الصالحين، والصلاة والسلام على خير النبيين وإمام الذاكرين، وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى الآل والصحب الغر الميامين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ ....[القمر:١٧]. أي: ولقد سَهَّلْنا لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكر ويعتبر، فهل من متعظ به؟

لا زلنا نحيا مع هذه الروضة الجميلة؛ روضة الذكر، وروضة التذكر، وروضة الخشية، ونحن نعود إلى التذكر والخشية ولسان حالنا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ ....[القمر:١٧].

إنني أتمنى بكل قلبي وبكل ذراتي أن كل شخص منا يبدأ في قرارة نفسه ونيته أن يعتزم أنه في لحظات الجهاد يجدد النية مع الله سبحانه وتعالى، وأنه في جهاد، وأنه الآن في رباط في سبيل الله، وأنه في مجاهدة مع نفسه؛ حتى يحظى بهذا الوقت في روضة من رياض الجنة نتباهي بها يوم القيامة.

إن الله تعالى جعل القرآن الكريم كتاب ذكر يذكِّرنا به، فكل ما في القرآن يذكرك بالله؛ لأجل هذا فإن الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾...[القمر:١٧]. فالقرآن ذِكر؛ لأجل هذا فإن الله تعالى يحفظ به.

سنتطرق إلى معانٍ جديدة نركز فيها على معاني الذكر، وعلى معاني التذكر، وعلى معاني الخشية، ما رأيك لو أخذنا صورة لهذه الأرض، ونرى هذه الأرض التي تشتمل على ست قارات، وبحار، ومحيطات، وجبال، وتضاريس؟ نرى أن هذه الأرض تمثل جزءًا

بسيطًا من هذا الكون، وهي معلقة في الفضاء الواسع، في الفضاء الكوني، ثم تسأل نفسك: ماذا يحدث لو أن هذه الأرض سقطت؟!

إنها معلقة تعليقًا عجيبًا؛ ولذلك فإن الله تعالى يسألك سؤالاً سنحاول أن نجيب عنه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾....[الأنبياء:٤٢].

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لا أحد يحفظكم ويحرسكم في ليلكم أو نهاركم، في نومكم أو يقظتكم مِن بأس الرحمن إذا نزل بكم بل هم عن القرآن ومواعظ ربهم لاهون غافلون.

فمَن يحرس هذه الأرض من الوقوع؟! إنه الله تعالى. وسنرى الأرض وهي معلقة.

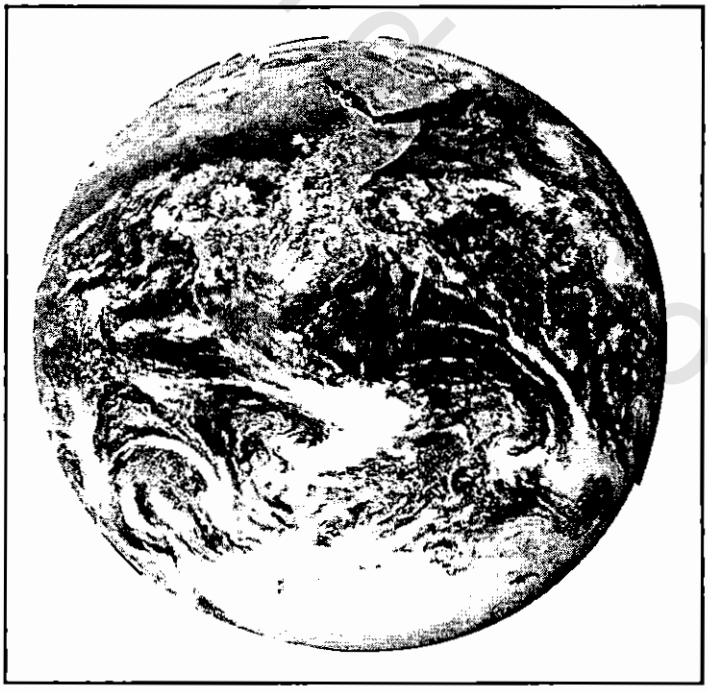

هذه صورة الأرض، وما حولها من سواد عبارة عن فضاء كوني، فالأرض معلقة تدور حول نفسها، اسأل نفسك: من الذي يحفظ هذه الأرض من الوقوع؟ وعندما تقع هذه الأرض، وعندما تصطدم هذه الأرض بالقمر كيف يكون حالها؟ وكيف يكون مصيرها؟

إن الله تعالى يسألك: انظروا إلى هذه الأرض ما كان النبي العظيم ﷺ، وما كان الصحابة رضي الله عنهم يشاهدون الأرض وهي معلقة، فقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ....[فاطر:٤١].

إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده؛ إن الله كان حليمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

إن الله تعالى يمسك السماوات من الوقوع، فكيف يمسك الأرض؟ إذا لاحظت الصور التي معنا الآن لرأيت أن الأرض هي الأخرى يمكن أن تسقط، كما أن السماء يمكنها أن تسقط، فقال لك الملك قبل أن يكتشف الناس هذا الكلام، وقبل أن يعرفوا أسراره وأنواره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾.

هل ممكن أن تسأل نفسك: من الذي علَّقها بهذه الصورة؟ مَن الذي حرسها عن الوقوع؟ مَن الذي حماها من الوقوع؟ من الذي حفظها من الوقوع؟

أجابك الملك الحي القيوم في سورة الأنبياء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ ....[الأنبياء:٤٢].

بل هم عن ذكر ربهم معرضون، أي: رغم أن هذه الأرض على هذا الجلال، وعلى

هذه العظمة الكونية فإن أحدًا لم يشكر نعم الله تعالى الذي جعل الأرض مهدًا، لم يشكر نعمة الله تعالى وهو يحفظها، وهو يصونها، وهو يحرسها، وهو يحميها.

و إذا كان الله تعالى يحفظ هذه الأرض فإنه يحفظ من في الأرض، ويحفظ من يدبون عليها، ويحفظ من يعيشون عليها.

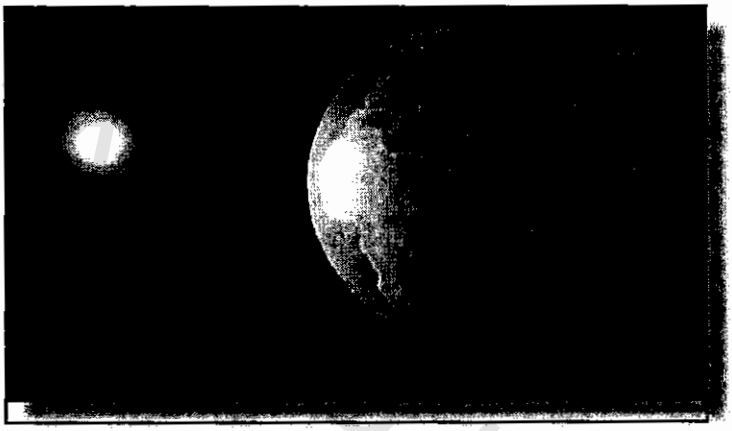

وهذه صورة أخرى للأرض وهي معلقة، لكنها الآن تشرق عليها أشعة الشمس، فتظهر الأرض من نواحي معينة بشكل معين، وهي أيضًا تسبح في الفضاء الكوني، فلو أن الصورة تتحرك معك لرأيت الأرض تدور في فلك كوني، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ ....[الفرقان:٦٢].

وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبَيْن يَخْلُف أحدهما الآخر لمَن أراد أن يعتبر بما في ذلك إيمانًا بالمدبِّر الخالق، أو أراد أن يشكر لله تعالى على نعمه وآلائه.

وهذه الأرض يحفظها الملك، ويحفظ من فيها، وهذا لا يعجزه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ

مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِىُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ....[البقرة:٢٥٥].

الله الذي لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، الحيُّ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله، القائم على كل شيء، لا تأخذه سِنَة -أي: نعاس- ولا نوم، كل ما في السماوات وما في الأرض ملك له، ولا يتجاسر أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، محيط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، يعلم ما بين أيدي الخلائق من الأمور المستقبلة، وما خلفهم من الأمور الماضية، ولا يَطَّلِعُ أحد من الخلق على شيء من علمه إلا بما أعلمه الله وأطلعه عليه، وسع كرسيه السماوات والأرض، والكرسي: هو موضع قدمي الرب جل جلاله، ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه، ولا يثقله سبحانه حفظهما، وهو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، وهذه الآية أعظم آية في القرآن، وتسمى: «آية الكرسي».

سبحان العظيم، سبحان الحنان، سبحان المنان، وكلما ترى شيئًا من مظاهر الله سبحانه وتعالى تحسب أن هناك أفلاكًا، وأن هناك أملاكًا لا نعلم عنها شيئًا، وإنما خلقها الله سبحانه وتعالى لمزيد قدرته، ولمزيد عظمته، ولمزيد عنايته.

هذه صورة عجيبة للأرض تشرق على القمر، أي: نحن نفهم أن القمر هو الذي يطلع عليها، وأن الشمس هي التي تغرب، وأن الشمس هي التي تطلع، فهناك شروق، وهناك غروب، وهناك إشراق، وهناك أصيل.

هذه صورة لكوكب الأرض، هذه الأرض نصفها مشرق، ونصفها مظلم على حسب إطلال الشمس عليها، والموجود في أسفل الصورة في قاع الصورة هذه هو القمر، فالأرض الآن تشرق على القمر، فمَن الذي يحركها، ومَن الذي ينظم حركتها؟ ومَن الذي ينظم دورانها؟ لأجل هذا؛ فإن الله تعالى يقول لك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾....[الأنبياء:٤٢].

كلما يأتي الليل سنعلم بأن هناك ليلاً، وكلما يأتي النهار سنعلم أن هناك نهارًا، فصار عندك الخيط الأبيض، وصار عندك الخيط الأسود، هل هو خيط فعلاً؟ هل عندنا خيط أبيض وعندنا خيط أسود؟ كما ذكر الملك سترى الآن هذا الخيط الأبيض.

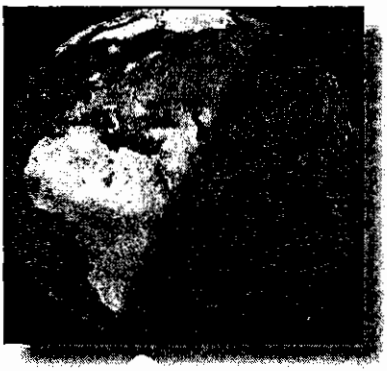

obeikandl.com

وهذا الخيط الأسود، وهو يبين لك ساعة ينفصل الليل عن النهار ساعة الليل، وهو يعسعس، وساعة النهار وهو يتنفس هذا هو الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿.. وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ..... ﴾ ....[البقرة: ١٨٧].

لعلك ترى في الصورة ملمحًا عجيبًا جدًّا من التحام الليل بالنهار من أن الليل يريد أن يفترق، وأن النهار يأتي مكانه، انتهت مرحلة الليل في مكان معين في دولة معينة، في قارة معينة، وها هو النهار يظهر لك الآن عندما يظهر الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فمَن الذي يحرك هذه الخيوط؟

إن الكرة الدائرة السوداء التي على يمين الصورة هذه الصورة هي صورة الأرض، وإنك تراها معلقة من زوايا شديدة، فمن يحفظ الأرض؟ ومن يحرس الأرض؟ إنه الملك سبحانه، ولكن العباد غافلون عن هذا، إن العباد لا يذكرون الله رغم أنه يحفظ الأرض التي تدور بهم، وهم لا يعلمون كيف تدور، ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾....[الأنبياء:٤٢].

هذه آية من كتاب الله تعالى، فمَا حالك مع هذه الآية؟ ماذا نعمل مع هذه الآية؟ بل هم عن ذكر ربهم معرضون، لأجل هذا فإن ذكر الله الذي نحدثك عنه ذكر الله تعالى يعطيك إحساسًا بهذه النعم كأني أستشعر هذه النعم، أستشعرها بعيني، وأستشعرها بقلبي، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾....[ق:٦].

أغَفَلوا حين كفروا بالبعث، فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، وزيناها بالنجوم، وما لها من شقوق وفتوق، فهي سليمة من التفاوت والعيوب؟

هل نظرت بقلبك؟ هل نظرت بعينك؟ قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ ....[ق:٧].

والأرض وسَّعْناها وفرشناها، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت؛ لئلا تميل بأهلها، وأنبتنا فيها من كل نوع حسن المنظر نافع، يَسُرُّ ويبهج الناظر إليه.

أأنتم أشد خلقًا؟ هو الإنسان الذي يفتري، ويتجبر، ويطغى، ويظلم، ويأخذ ما ليس له، ويعربد في هذا الكون، ربنا يسأله ويقول له: ارجع إلى نفسك، أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها؟ أي: هل الإنسان مهما يكون في عظمته، ومهما يكون في قوته، ومهما يكون في سطوته، ومهما يكون في سلطانه، كم يساوي في هذه الأرض التي رأينها الآن معلقة وهي تحمل أحياءنا، وتحمل أمواتنا، وتحمل ما يخرج من بطوننا، وتحمل نعمًا عظيمة لله سبحانه وتعالى؟

قال تعالى حاكيًا عن فرعون كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ ....[طـه: ٤٩- ٥٣].

قال فرعون لهما: فمَن ربكما يا موسى؟ قال له موسى: ربنا الذي أعطى كل شيء خَلْقَه اللائق به على حسن صنعه، ثم هدى كل مخلوق إلى الانتفاع بما خلقه الله له، قال فرعون لموسى: فما شأن الأمم السابقة؟ وما خبر القرون الماضية، فقد سبقونا إلى الإنكار والكفر؟ قال موسى لفرعون: عِلْمُ تلك القرون فيما فَعَلَت من ذلك عند ربي في اللوح المحفوظ، ولا عِلْمَ لي به، لا يضل ربي في أفعاله وأحكامه، ولا ينسى شيئًا مما علمه منها، هو الذي جعل لكم الأرض ميسَّرة للانتفاع بها، وجعل لكم فيها طرقًا كثيرة، وأنزل من السماء مطرًا، فأخرج به أنواعًا مختلفة من النبات.

رأيت هذه السبل في هذه الأرض لترى تعارجًا عجيبًا موجودًا مثلها في السماء، ولكن صورة الأرض وهي معلقة تنادي عليك: مَن يحفظ هذا الكون؟ مَن علَّم الناس أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يستر سوءاتهم داخل هذه الأرض، ويحفظهم بهذه الأرض، ويسيرون على هذه الأرض، ويدفنون في هذه الأرض، ويبعثون من هذه الأرض؟

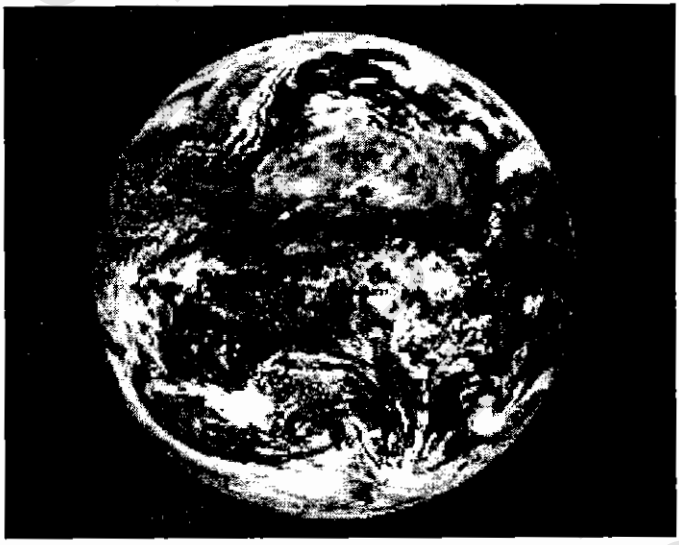

هذه الأرض تحمل لك أسرارًا عجيبة، أسرارًا مزلزلة، كما قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ ....[طه:٥٥].

مِن الأرض خَلَقْناكم -أيها الناس-، وفيها نعيدكم بعد الموت، ومنها نخرجكم أحياء مرة أخرى للحساب والجزاء.

كيف تبعث الأرض؟ وكيف نبعث مَنْ فيها؟ وماذا تكونين أيتها الأرض بجوار الشمس؟ وماذا تكون الشمس بجوار المشتري؟ وماذا يكون المشتري بجوار الملكوت

العظيم؟ كيف يستشعر الإنسان الإحساس بهذه القدرة؟ أعطاه الله سبحانه وتعالى جلدًا لكي يذكر الواحد، كان يعرف أنه يذكر بلسانه، ويذكر بقلبه، ومرَّ مِن قبل القلب الذاكر، وذات مرة عن العين الذاكرة، لكن القرآن الكريم يفاجئك، ويقول لك: هذا الجلد جلدك الذي يملأ البدن كله، العينان لهما مكان، اللسان له مكان، الأذنان لهما مكان، القلب الحسي الذي هو على حد اعتقاد بعض الناس مضخة له مكان، هل الجلد له مكان؟ أو الجسم كله عبارة عن جلود؟ أنت تظن أن اللسان فقط هو الذي يذكر؟ أنت تظن أن اللسان يقول: يا الله، وسبحان الله، والحمد لله، أنت معتقد فقط أن اللسان هو الذي يذكر، أقول لك: لا، الجلد ذَاكر، الجلد هذا ذكار، لكن كيف يعيش الجلد حال ذكر الله تعالى؟

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ ....[الزمر:٢٣].

الله تعالى هو الذي نزل أحسن الحديث؛ وهو القرآن العظيم، متشابهًا في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تقشعر من سماعه الأبدان، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم؛ تأثرًا بما فيه مِن ترهيب ووعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم؛ استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب، ذلك التأثر بالقرآن هداية من الله لعباده، الله يهدي بالقرآن من يشاء مِن عباده، ومن يضلله الله عن الإيمان بهذا القرآن؛ لكفره وعناده، فما له مِن هاد يهديه ويوفقه.

أنا مشتاق إلى أن أعرف كيف يكون جلدي ذاكرًا؟ أنا مشتاق أن أعرف هذا الجلد كيف يلين ويتغير ويصير طريًّا بعد أن كان ناشفًا، وبعد أن كان صلبًا، وبعد أن كان شديدًا، وبعد أن كان خشنًا يتحول هذا الجلد إلى حالة من الطراوة، وإلى حالة من

النعومة، ولم توضع عليه كريمات، ولا شيء أبدًا، ما الذي جعل هذا الجلد لينًا؟ إنه الجلد اللين، الجلد الذكار، الجلد المقشعر من خشية الله.

سترى الآن صورًا لهذه الجلود وهي تسبح، وسترى صورًا لهذه الجلود وهي تذكر، سترى صورًا لهذه الجلود وهي تستشعر عظمة الخالق الذي يستشعر فعلاً أن الجلد عنده إحساس، وأن الجلد فيه مواضع إحساس، ومواضع الإحساس الموجودة في هذا الجلد التي سماها العلماء مراكز الإحساس، المواضع التي يمكن أن تكون مجالاً لعمل الحجامة النبوية التي أوصى بها النبي الكريم ﷺ، فالحجامة لها صلة بمراكز الإحساس، ومراكز الإحساس لها صلة بذكر الله، والجلد كله عبارة عن مراكز إحساس.

وسأعرض عليك مشاهد لبعض مراكز الإحساس التي أستشعر فيها أن هذا الجلد كما أنه يذكر الآن فإنه سيتحدث يوم القيامة، الجلد هذا الذي أراه الآن وهو يسبح، وهو يذكر، وفيه طبقات الإحساس، وطبقات الإحساس العليا، وطبقات الإحساس المركبة، وطبقات الإحساس السفلية، سترى هذا الجلد الذي يذكر الآن سينطق يوم القيامة، إنك الآن ترى الخلايا المرهفة عند الإنسان، خلايا الإحساس تلين من ذكر الله، فهل ستنطق يوم القيامة هذه الجلود التي هي الآن متفاعلة مع القرآن، وتأتيها حالة من القشعريرة؟ ثم تلين جلودهم ثم قلوبهم إلى ذكر الله، هذه الجلود الآن إذا لم تخشع، إذا لم تخضع، إذا لم تذكر إذا لم تلن، فمتى تخشع وتلين وتخضع؟!

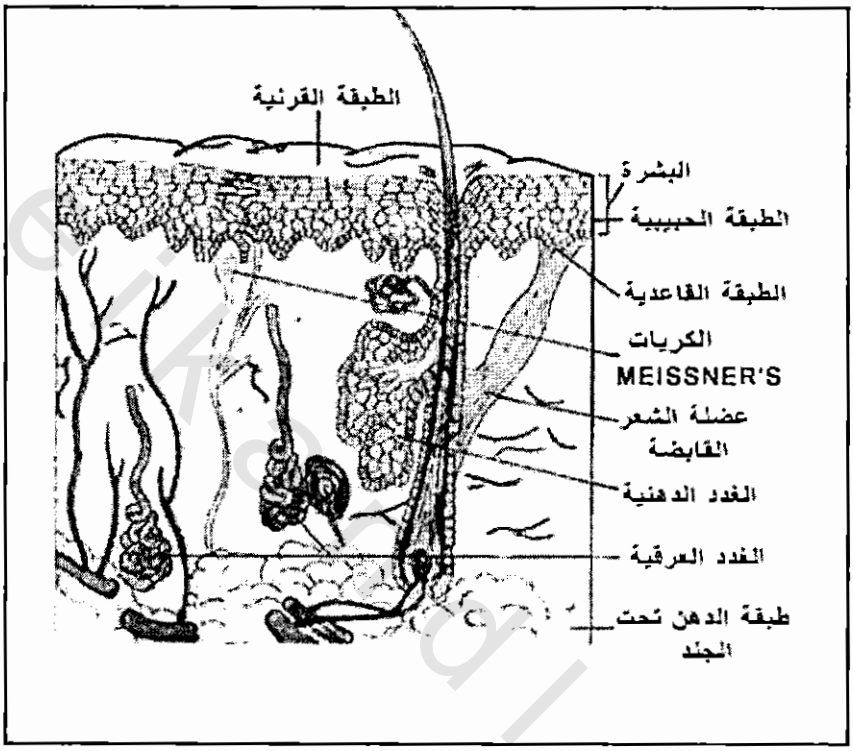


هذه مواضع الإحساس أيضًا في الجلود، الجلود الذاكرة، الجلود الخاشعة، الجلود الذكارة التي عندها إحساس، والتي عندها رغبة في القشعريرة، ورغبة في الذكر، ورغبة في حالة الإيمان، وقد استمعت إلى الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ ....[الزمر:٢٣].

إذن الجلود فيها قشعريرة، وفيها خشية، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، يبقى عندنا أربعة أشياء موجودة في الجلود: القشعريرة، والخشية، ثم إنها تلين، ثم ذكر الله عز وجل.

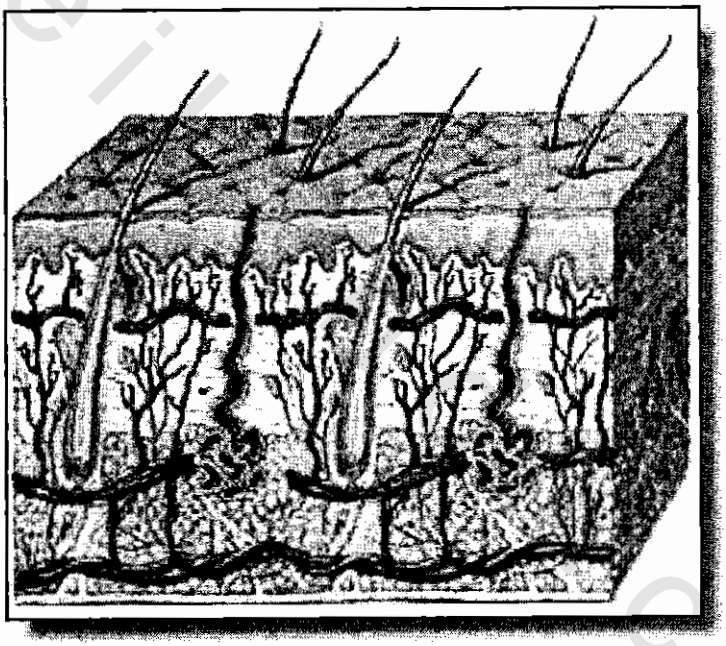

هذه مواضع -أيضًا- للإحساس الموجودة في هذه الجلود، إذن الجلود مطلوب منها أربعة أشياء: أنها تقشعر، وأنها تخشع، وأنها تلين، وأنها تذكر الله سبحانه وتعالى، فإذا لم تقشعر، وإذا لم تخشع، وإذا لم تلن، وإذا لم تذكر كيف يكون حالها يوم القيامة؟

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ....[فصلت: ٢٠، ٢١].

حتى إذا ما جاءوا النار، وأنكروا جرائمهم شَهِدَ عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من الذنوب والآثام، وقال هؤلاء الذين يُحْشرون إلى النار من أعداء الله لجلودهم معاتبين: لِمَ شهدتم علينا؟ فأجابتهم جلودهم: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة، ولم تكونوا شيئًا، وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء.

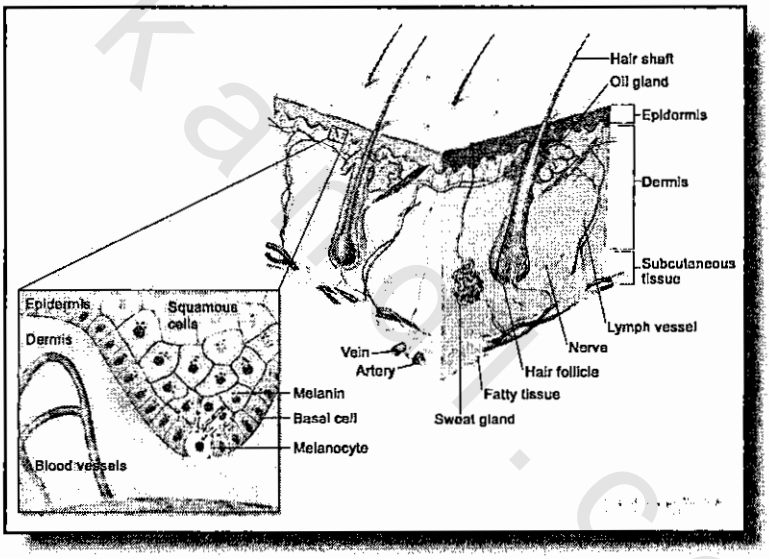


إنها زلزلة قلب مع سورة فصلت، والعجيب في هذه الآية أن السمع شهد، وأن البصر شهد، ورغم هذا فإن الإنسان المشهود عليه لم يقل لسمعه، ولم يقل لبصره: لِمَ شهدتم علينا؟ وذلك لأن الشهادة من السمع على قدر ما تسمع، والشهادة من البصر على قدر ما ترى، أما الجلد عندما يشهد عليك فتلك مصيبة؛ لأن البدن كله سيتكلم؛ ولذلك فإن الله تعالى يظهر عتاب هؤلاء الناس على الجلود، إنهم لم يعتبوا على أسماعهم، ولم يعتبوا على أبصارهم، وإنما ها هم يعتبون على جلودهم.

وأنت الآن ترى الجلود أمامك وفيها إحساس الإيمان، وفيها إحساس الطاعة، وفيها أيضًا إحساس العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ....[فصلت:٢١].

وقالوا لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالت: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة و إليه ترجعون.

فصارت الشهادة من الجلود ثابتة، أن يشهد عليك جلدك أي: أن يشهد عليك جميع ذرات بدنك، وربنا قادر على كل حال، فإنه الذي أنطق الأسماع، والذي أنطق الأبصار، إنه الآن ينطق هذه الجلود.

فالمشكلة في الإنسان نفسه، فالفرد ما كان يعتقد أن الجلد عنده إحساس بما يفعله بحيث يأتي هذا الجلد ويتكلم يقول: أنا سمعت القرآن فلم أتعظ، أنا سمعت القرآن ولم أرتوِ، أنا سمعت القرآن ولم أخشع، أنا سمعت الأذان ولم أستجب، جاء عليّ شعبان فلم يغير فيَّ شيئًا، وجاء عليَّ رمضان ما غير شيئا؛ لأجل هذا قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ....﴾ ...[فصلت:٢١].

ومن هنا فإن هذه الجلود هي مصدر من مصادر الإحساس بقدرة الله سبحانه وتعالى، فهذه مسألة اعتقاد، فلو تعلم أن هذا الجلد سيشهد عليك، وعند الوضوء الجلد سيشهد عليك، فالجلد يجعلك تتوب إلى الله؛ ولذلك فإن الجلد يتغير به وجه الإنسان، و يتغير به ملامح الإنسان.

عندما دخل الوليد بن المغيرة على سيدنا رسول الله ﷺ فظل النبي العظيم ﷺ يقرأ عليه سورة فصلت، كما ورد في الأثر: اجتمعت قريش للنبي ﷺ يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت

أمرنا، وعاب ديننا فليكلمه، ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك؛ فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحرًا، وأن في قريش كاهنًا... ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشرًا...

فقال له رسول الله ﷺ: أفرغت؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ....[فصلت: ١-٢]. حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ....[فصلت: ١٣].

فقال عتبة: حسبك حسبك، ما عندك غير هذا؟! قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية ما فهمت شيئًا مما قال غير أنه قال: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود...

قالوا: ويلك، يكلمك رجل بالعربية فلا تدري ما قال! قال: لا والله، ما فهمت شيئًا مما قال غير ذكر الصاعقة[1].

ففي هذه القصة لم يتحمل الوليد هذه السورة، ولم يتحمل هذه الآيات المزلزلة

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، عن جابر بن عبد الله عنهما، ٦/ ٢٢ .

القارعة حتى خرج إلى الناس، فتعجب الناس، فقالوا: لقد خرج علينا الوليد بوجه غير الوجه الذي دخل به على محمد، فما الذي تغير؟! لقد أصبح الجلد مؤمنًا.

إذا عملت معصية، وهذه المعصية أذلتك وقهرتك، وصرت عبدًا لهذه المعصية، لكنك تريد أن تعود عن هذه المعصية، وخائف من هذه المعصية، فحاول أن تحضر قطعة من النار، وتضع يدك على هذه النار؛ فإنها تذكرك باللَّه، فالجلد أصبح يذكرك باللَّه، والأرض وهي معلقة تذكرك باللَّه، والنار -نار الدنيا قبل نار الآخرة- تذكرك باللَّه.

قال أحد الصالحين: هاجت عليَّ نفسي -أي: أخذته حالة من الاستعلاء-، فقال لنفسه: هذه النار... أي: تخيَّلَ أنه جالس في النار، وسيعرض عليه مشهد النار، ويعذب في النار، وقيل له: ستخرج من هذه النار، وتعود إلى الحياة، فماذا أنت فاعل لكي تنجو من هذه النار؟ ذقت النار، وجاءتك الآن فرصة من الله الواحد القهار أن تعود إلى الحياة، ماذا أنت فاعل بعد النجاة؟!

يقول الله تعالى عن النار: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ ....[الواقعة: ٧٢، ٧٣].

أأنتم أوجدتم شجرتها التي تقدح منها النار، أم نحن الموجدون لها؟ نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيرًا لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين.

جعلناها تذكرة تذكر الناس باللّه، فالنار تذكرة ومتاعًا للمقوين، هل علمت أنها تذكرة؟ هل علمت أنها متاع؟

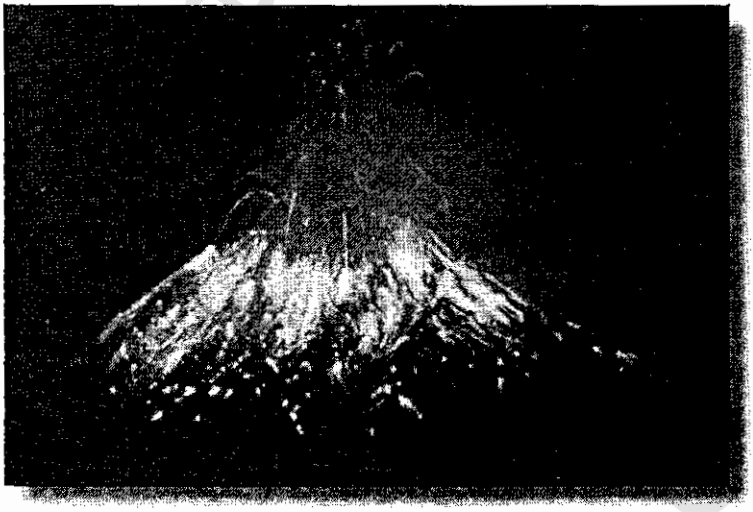

هذا بركان وهو يشتعل

لقد تزلزل قلبي الآن مع نار الدنيا، ما رأيك لو رأيت البركان وهو يشتعل؟ ما رأيك لو رأيت البركان، وهو يخرج من فجاج الأرض؟ ما رأيك لو رأيت البركان والأرض تخرج ما بداخلها؟ زلزلت الأرض، وتخرج أدرانها، وتخرج ما في داخلها، فكيف رأيت

البركان؟ وكيف ترى رحمة الحنان؟ وكيف ترى رحمة المنان؟ وهو يقول لك في قوله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾ ....[الواقعة:٧١].

أفرأيتم النار التي توقدون، هذه النار الموجودة في هذه الحياة في الأفرنة، وفي المخابز، وفي المناجم، وفي جميع الأماكن في الأرض كلها ونار الشمس، وما أدراك ما الشمس؟!

هذا بركان شديد يخرج منه لهب

إنك ترى الآن بركانًا شديدًا عظيمًا يخرج منه لهب مستعر، فمَن الذي أعطاها هذه القوة؟ ومَن بثَّ فيها بعظمته وقدرته أن تشتعل ثم تنطفئ، وتشتعل ثم تنطفئ، ثم إنها جذوة، ثم تهيج، ثم تموج، ثم تعود على حالتها، وإنها تنطلق مذكرة لك باللّه؟ ثم قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ....[الواقعة:٧٤].

فنزِّه -أيها النبي- ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات.

ولو تأملت الضوء وهو يأتي لك من الشمس، هذا في الأساس، ثم عندك حركة عجيبة تحدث في هذه النباتات، النباتات فيها اخضرار، ولولا هذا الاخضرار ما صار هناك عملية تسمى بعملية البناء الضوئي، فلو اختفي كل الاخضرار، وكل ما هو أخضر، ولو اختفت الأشجار والنباتات والزروع والثمار، ولو اختفي كل ما هو أخضر لهلك

الناس جميعًا، وما كانت هناك حياة لتحدث عملية تمثيل ضوئي، حيث يحدث عطاء متبادل في هذا الكون تأتي النار، ومِن أين تأتي النار؟ تأتي من الشجر الأخضر.

هذه صورة عبارة عن غابات لم يشعلها أحد

وترى الآن غابات في أستراليا، وغابات في أمريكا، وغابات في كندا تشتعل من تلقاء نفسها لم يشعلها أحد، وإنما جاء فيها اشتعال ذاتي، رغم أنها خضراء، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ ....[يس:٨٠].

الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب نارًا محرقة، فإذا أنتم من الشجر توقدون النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

فجاء في الآية التي لحقتها في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ....[يس:٨١].

أوليس الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى، إنه قادر على ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويَخْلُقُ، لا يخفي عليه شيء.

إذن النار التي يشعل بها الناس في هذه الأرض تأتي من أين؟ تأتي من الشجر الأخضر، ويأتي من الشجر النار، قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ....[يس:٨١].

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ....[يس:٨٢].

إنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا أن يقول له: «كن»، فيكون، ومن ذلك الإماتة والإحياء، والبعث والنشور.

هل تصدق أن النبات الأخضر هو مصدر النار الدنيوية؟ قال تعالى:

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ ...[الواقعة: ٧٠-٧٣].

إنهـا هـذه الشـجرة

فالنار تذكرك باللَّه، ومَن يرى هذه النار يرى رحمة الله، ومَن يرى هذه النار يذكر

لطف الله، فهي جزء من مائة جزء من نار جهنم، هذه النار التي في الكون كله لا تساوي شيئًا، لكن رحمة الله تعالى أوسع، وكرم الله تعالى أوسع، فإن الله تعالى جعلها تذكرة ومتاعًا للمقوين، أي: المسافرين، وغير المسافرين.

هل رأيت النار تغيث لهفة الناس في هذه الحياة؟ هل رأيت النار تذكر الناس بعظمة الله؟ هل رأيت البراكين تخرج وتخرج معها ثروات كبيرة ونار، وهذه البراكين تمتد حتى تصل إلى الشوارع؟

صورة البراكين في إيطاليا

هذه صورة براكين في إيطاليا، ونزلت واخترقت البلاد والناس، والناس يجرون أمامها حتى نزلت إلى الشارع، ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾...

[الواقعة: ٧٠-٧٣].

أي يأتي لك الذكر، ويأتي لك التسبيح، كأنك في روضة عظيمة من روضات الجنان، كأنك عندما ترى هذه النار تستشعر فيها قدرة الله مع رحمة الله، تستشعر فيها قدرة الله مع حنان الله، تستشعر فيها قدرة الله مع رأفة الله سبحانه وتعالى، ومع رأفة الله تعالى بعباده، إن الله بعباده لرءوف رحيم، لغفور رحيم، وهذه قدرته، وهذه عظمته، حتى في بعض المواضع الذي يستشعر الناس نوعًا من البطش، ونوعًا من إراقة الدماء، ونوعًا من إزهاق الأرواح، وحتى يتصور بعض الناس غير المسلمين أنها وحشية، فإذا هي ذكر لله.

فالنار تذكرنا باللَّه، والكون المعلق يذكرنا باللَّه، وإن الأرض تشرق على القمر، وحدثتك عن كل هذا، وها أنا الآن أقول لك: إن بعض الناس يتصور أن ذبح الأضاحي، وذبح البدن في الحج وفي غير الحج لمَن كان يحج، أو من كان يضحي في العيد في البلاد الإسلامية والعربية يستشعرون إنها وحشية، وما هي وحشية، إنها لإقامة ذكر الله.

هـذا الحيوان المذبوح يذكرك باللَّه

الحيوان المذبوح وهو يُذبَح يذكرك باللَّه؛ لأنك لا تستطيع أن تذبحه إلا عندما تكبر: بسم الله، الله أكبر، وتأمل حالة الحاج، فهذا الذبح يذكرِّك باللَّه، وهذا مِن علامات الإيمان، ومن علامات ذكر الله، ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ ..... [الأنعام: ١١٨].

أي: مِن علامات الإيمان أن تذكر الله تعالى عند الشيء المذبوح عليه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ .....[الأنعام: ١١٨].

أي: فكلوا من الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها، إن كنتم ببراهين الله تعالى الواضحة مصدقين.

فإنك تذكر الله تعالى عليه الآن، فكلوا مما ذكر اسم الله عليه، لابد من ذكر اسم الله؛ لأن اسم ربنا فيه بركة، ولأن اسم ربنا فيه عطاء، ولأن اسم الله تعالى فيه رحمة، إن كنتم بآياته مؤمنين، فمِن علامات الإيمان ذكرُ الله تعالى عند الذبح، ومن علامات الإيمان ذكر الله تعالى عند الأضحية، ومن علامات الإيمان ذكر الله تعالى في أول الطعام، ومن علامات الإيمان حمد الله تعالى في آخر الطعام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .....[الحج: ٣٦، ٣٧].

وجعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها -أيها المتقربون- خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: باسم الله. وتُنْحَر الإبل واقفة قد صُفَّتْ ثلاث من قوائمها وقُيِّدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فليأكل منها مقربوها تعبدًا، ويُطْعِمُوا منها

القانع -وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا-، والمعتر الذي يسأل لحاجته، هكذا سخَّر الله البُدْن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم، لن ينال آلله مِن لحوم هذه الذبائح ولا من دمائها شيء، ولكن يناله الإخلاص فيها، وأن يكون القصد بها وجه الله وحده، كذلك ذللها لكم -أيها المتقربون- لتعظموا الله، وتشكروا له على ما هداكم من الحق، فإنه أهلٌ لذلك، وبشِّر-أيها النبي- المحسنين بعبادة الله وحده والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

إذن صار ذكر الله سبحانه وتعالى شيئًا جميلاً في حياتك، فكل ما حولك يذكرك باللَّه، وكل ما يحملك، وكل ما تحمل عليه فإنه يذكرك باللَّه عز وجل، كما قال تعالى عن سليمان: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ....[ص:٣٠].

ووهبنا لداود ابنه سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه، نِعْم العبد سليمان، إنه كان كثير الرجوع إلى الله والإنابة إليه.

هذا خيل عربي كان يحبه النبي العربي ﷺ

وهذا فرس يتفرس الزمان والمكان

فمن أكرم هذه الخيول العربية أكرمه الله تعالى، هذه الخيول تعرض ممشوقة أمام سيدنا سليمان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ ....[ص:٣١].

اذكر حين عُرِضت عليه عصرًا الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة؛ لنجابتها وخفتها، فما زالت تُعرض عليه حتى غابت الشمس.

لعلك الآن تجد هذا الفرس -وسمى الفرس فرسًا؛ لأنه يتفرس الزمان، ويتفرس المكان، ويسير بسرعة متفرسة للمسافات- إنك تراه رشيقًا؛ ولذا يقال: إن الفرس أو الخيل أقرب شبه بالإنسان؛ لأن فيه أصالة، ولأن فيه شهامة، ولأن فيه شرف، ولأن فيه همة عالية.

كان سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحب هذه الخيول التي عرضتها لك، وكان يتعلق بها؛ لأن الخيول ثلاثة:

**النوع الأول:** فرس لله الذي ينقلك للجهاد في سبيل الله.

**النوع الثاني:** فرس للشيطان، يقول لك: سأدخل السباق، ويدخل السباق عشرة خيول؛ الخيل الأول يراهن على سيارة، وهذا على ألف درهم، وهذا على ألف ريال... وهكذا، فالفرس الذي خلقه ربنا للجهاد في سبيل الله، صار يقامر عليه، إذن فهذا فرس للشيطان، أي: الناس يقامرون عليه، ويعملون مسابقات خيول تقوم على المقامرة وعلى المراهنة.

**النوع الثالث:** فرس للإنسان، أي: صاحبه يرتزق منه، وآخر يأكل منه عيشًا، وثالث يؤجره في طاعة الله عز وجل.

فقال سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ ....[ص: ٣٢]. فكل ما حولك يحدثك عن الذكر وعن التذكر، وإن جميع الآيات التي جئنا لك بها عن النار، وعن الأرض، وكلها آيات عن الذكر، فقال: إني أحببت حب الخير، والخير حب الخيل، قال النبي العظيم ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير»[1].

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ ....[ص: ٣٢]. فظل سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ينظم الخيل، وهو سعيد بها؛ لأنها تساعده على ذكر الله، وعلى حمد الله، وطاعة الله؛ ولأن مَن جهز غازيًا فقد غزا، حتى توارت بالحجاب، أي: حتى غربت الشمس على حد اعتقادنا هي التي تغرب، ولكن في الحقيقة الأرض هي التي تغرب، وكان ينبغي على سيدنا سليمان أن يصلي، فلم يصلِّ، فما الذي حدث؟

انشغل بالخيل التي هي معقود بنواصيها الخير، فطفق مسحًا بالسوق والأعناق، وترى

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٩٨٧ .

وترى الخيل - كما ذكر الكتاب الكريم- فيه همة، وفيه رشاقة، وفيه أصالة، وفيه تحمل؛ لأجل هذا فإنه يذكرك باللَّه في مشيته، وفي وقفته، وفي أصالته، وفي شرفه.

فكل شيء مر بنا في الصفحات الماضية هو تذكرة للخشية، وعندما يتذكر الإنسان فإنه يخشع، وعندما يتذكر فإنه يخشى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾....[ق:٣٣-٣٥].

مَن خاف الله في الدنيا، ولقيه يوم القيامة بقلب تائب من ذنوبه، ويقال لهؤلاء المؤمنين: ادخلوا الجنة دخولاً مقرونًا بالسلامة من الآفات والشرور، مأمونًا فيه جميع المكاره، ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع، ولهؤلاء المؤمنين في الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظَمُه النظر إلى وجه الله الكريم.

إذن تعرفنا في هذا المبحث على الجلود الذاكرة، وبينا كيف تخشع هذه الجلود لذكر الله، وبينا بعض آيات الله الكونية والشرعية التي تساعد المؤمن على هذا الخشوع، ثم ننتقل إلى موضوع آخر وهو التذكر والخشية؛ حتى نبين للمسلم كيف يحافظ على هاتين العبادتين العظيمتين كما كان النبي ﷺ وكما كان أصحابه والتابعين يفعلون.

اللَّهُمَّ حَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ وَزَيِّنِي بِزِينَةِ الْمُتَّقِينَ فِي بَسْطِ العَدْلِ، وَكَظْمِ الغَيْظِ وَضَمِّ أَهْلِ الفُرْقَةِ، وَلِينِ العَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطَيِّبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الفَضِيلَةِ، وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَالقَوْلِ بِالحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلَالِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ فِي قَوْلِي وَفِعْلِي.

وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ البِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِي الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَخُذْ بِيَدِكَ نَاصِيَتِي إِلَى طَاعَتِكَ، وَوَفِّقْنِي لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ مِنْ صَالِحِ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ.

اللهم صل على سيدنا محمد في الأولين، وصل عليه في الآخرين، وصل عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، اللهم صل عليه عدد ما أحاط به علمك، وخط به قلمك، وبلغ به صوتك يا أرحم الراحمين.

obeikandl.com